مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 10 / العـدد:02 (جويلية2022) ص 554– 570
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

فكرة "الثورة" من منظور الحزب الشيوعي الجزائري وموقفه منها سنة 1954م

The Idea of "Revolution" from the Perspective of the Algerian Communist Party and Its Attitude on It in 1954

عزيز خيثر

Aziz KHITER

جامعة مولود معمري – تيزي وزو(الجزائر) ، azizkhitergeo@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/18	تاريخ القبول: 2022/04/23	تاريخ النشر: 2022/07/14

الملخص: يسلط هذا البحث الضوء على تفسير الحزب الشيوعي الجزائري لفكرة الثورة وموقفه منها عند اندلاعها، كما يحاول أن يقدم له قراءة تاريخية متأنية تأمل أن تفسر وتحلّل طبيعة ذلك الموقف، مع تقديم الخلفيات والأسباب التاريخية التي صاغته. ولعل ما يسمح به تتبُع هذا الموضوع بالبحث والتقصي هو الوقوف على عدة حقائق تاريخية حول موقف هذا الحزب من الثورة، لعل من بين أهمها هي أن هذا الحزب لم يكن بالنظر الى تكوينه وتركيبته وإيديولوجيته وارتباطه بالخارج لاسيما الحزب الشيوعي الفرنسي، قادرا على أن يتخذ موقفا ايجابيا من الثورة.

وفضلا عن هذا ظلت صفة الغموض والتناقض وحتى الارتباك من أبرز السمات التي طبعت مواقف هذا الحزب ليس من الثورة فقط، وإنما من القضية الوطنية ككل منذ تأسيسه في 1936م.

الكلمات المفتاحية: الثورة؛ الاستعمار ؛ الاستقلال؛ الشيوعيون؛ الحزب؛ فرنسا.

Abstract: This research sheds light on the Algerian Communist Party's interpretation of the idea of the revolution and its attitude on it when it broke out. And it also tries to give it with a historical reading that explains and analyzes the nature of that attitude. It also gives the historical facts and reasons which formed that position. Tracking this issue allowed us to identify several historical facts about this party's position on the revolution, perhaps which is that this party, given its composition, ideology, and relation with abroad, especially the French Communist Party, was not able to take a positive attitude from the revolution.

In addition, ambiguity, contradiction, remained among the most prominent features that characterized the position of this party, not only on the revolution, but on the national issue as a whole since its founding in 1936.

Keywords: Revolution; Colonization; Independence; Communist; Party; France.

المؤلف المرسل: عزيز خيثر، الإيميل: azizkhitergeo@gmail.com

1- مقدمة:

تعرف الأحزاب الشيوعية بالنظر إلى المبادئ التي تقوم عليها بأنها أحزاب ثورية، أو أحزاب الطليعة –كما تسمي نفسها– التي تتقدم الجماهير وتقودها في النضال، هذا النضال الذي هو حسب المفهوم الشيوعي صراع أو ثورة ضد الاستغلال والظلم الذي تمارسه الأنظمة الليبرالية والامبريالية ضد الطبقات الكادحة من العمال والفلاحين، أو ما يعرف بـ "طبقة البروليتاريا". ومن المعروف تاريخيا أن تلك الأنظمة كلها تقريبا كانت تمتلك إمبراطوريات استعمارية واسعة خلال القرنين 19 و20م، مارست أبشع صور الاستغلال الإنساني ضد شعوب تلك المستعمرات. وإذا كانت هذه المسألة الأخيرة لا تطرح إشكالا للأحزاب الشيوعية التي لم تكن لدولها مستعمرات، فإنها بالنسبة لغيرها على غرار الحزب الشيوعي الفرنسي وملحقه الجزائري فان المسألة الاستعمارية قد خلقت لهما إحراجا ومشاكل كبيرة، بل وكانت من بين أبرز أسباب فشلهما في التموضّع داخل المستعمرات الفرنسية لاسيما في الجزائر، التي كانت تعيش منذ فترة طويلة تحت وطأة أحد أفضع الأنظمة الاستعمارية الاستيطانية في الفترة الحديثة والمعاصرة التي تجلّت فيها صور استغلال واضطهاد الانسان لأخيه الانسان.

على الرغم من الوضع الصعب والمعقّد الذي وجد الحزب الشيوعي الجزائري نفسه فيه داخل الجزائر المستعمرة لاسيما من الناحية الإيديولوجية والعرقية، إلا أنه حاول تجاوز ذلك الوضع أو على الأقل التكيّف معه بالشكل الذي يسمح له بممارسة نشاطه السياسي في الساحة الجزائرية على غرار بقية الأحزاب الأخرى، بل وقام حتى ببذل مساعي حثيثة حاول من خلالها منافسة بقية الأحزاب الوطنية الجزائرية في كسب تأييد القاعدة الجماهيرية، التي كان يسعى جاهدا من أجل الظهور أمامها كتنظيم يتحدث باسمها ويحمل همومها وانشغالاتها، حتى وصل به الحد في بعض الأحيان إلى لبس عباءة الوطنية التي تتعارض مع فكرة الأممية أو العالمية التي كان يدعو ويؤمن بها.

وسعيا منه لتحقيق أو بلوغ هذه المرامي كان الحزب الشيوعي الجزائري يرفع في نضاله من حين لآخر شعارات ذات أبعاد ثورية حاول من خلالها ارتداء ثوب الوطنية في النضال الذي خاضه منذ تأسيسه في منتصف الثلاثينات، كما أراد أن يبدو بأنه يعيش في حالة من الانسجام مع الواقع الاستعماري الذي كانت تعيشه الجزائر، وفي حالة أيضا من التناغم الإيديولوجي والأخلاقي مع المبادئ الشيوعية اللينينية–الماركسية التي كان يدّعي الإيمان بها، ولاسيما ما تعلق منها بموقفه من فكرة الثورة بالخصوص والمسألة الاستعمارية ككل.

إذا كانت الفترة الممتدة من 1936 إلى 1954م هي مرحلة نضال سياسي في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية أتاحت لجميع الأحزاب وخاصة لهذا الحزب ممارسة المناورة والمخاتلة السياسية لتحقيق بعض المصالح

الحزبية الضيقة، فان اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954م قد وضع هذا الحزب ومبادئه أمام اختبار وامتحان صعب، بعدما خيرته بين الوقوف إلى جانبها أو إلى جانب القوى الاستعمارية الامبريالية، الأمر الذي فرض عليه إما الانخراط في هذه الثورة، أو على الأقل تأييدها استجابة للمبادئ الشيوعية الثورية، أو خيانة هذه المبادئ.

وبغض النظر عن الشوائب التي طبّعت المسار النضالي لهذا الحزب إزاء القضية الوطنية إلا أنه يمكن القول ولو بشكل مجازي بأن اندلاع الثورة في حد ذاتها قد أتاح فرصة جديدة لهذا الحزب من أجل تقويم مواقفه وتصحيح أخطائه النضالية، بالشكل الذي يَجُبُ على سلبيات ماضي مساره النضالي. فإلى أي مدى استفاد هذا الحزب من تلك الفرصة ؟ وهل استطاع التخلي عن مفاهيمه العتيقة حول المسألة الاستعمارية وحق الشعوب المستعمرَة في تقرير مصيرها، وتحقيق تطور يستجيب لمقتضيات اللحظة التاريخية التي أفرزتها هجومات أول نوفمبر 1954م؟

2- فكرة "الثورة" و"الاستقلال" عند الحزب الشيوعي الجزائري قبل 1954م بين المفهوم الواقعي والمفهوم المعلّب : إن الغاية من تتبع وعرض نظرة الحزب الشيوعي الجزائري لفكرة الثورة هو توضيح جانب مهم من الخلفيات التاريخية والإيديولوجية التي تساعد ليس فقط على فهم موقف الشيوعيين في الجزائر من اندلاع الثورة، وإنما تكشف أيضا عن التوجهات والقناعات السياسية التي كان يتبناها هؤلاء إزاء القضية الوطنية، تحددت على ضوئها سياسة وبرنامج عمل هذا الحزب في الجزائر قبل اندلاع الثورة، والتي يبدو بأنه كان لها أثر كبير في تحديد موقفه منها بعد اندلاعها.

عجّت أدبيات الحزب الشيوعي الجزائري بالمصطلحات الثورية التي كان من حين لآخر يرفعها كشعار في عمله، وباعتباره كان يعتنق الفكر الشيوعي فان ألفاظا مثل :"الثورة"، " الصراع"، "المعركة"، "معاداة الامبريالية" ... وغيرها، لم تكن من العبارات أو المصطلحات التي يمكن الاستغراب من وجودها في أدبيات وصحافة وبرنامج عمل هذا الحزب الذي لم يجد أي انتقاد أو اتهام بالتقصير في هذا الخصوص خلال مساره النضالي في الجزائر على هذا الصعيد(Teguia, 2007, p. 44) ، لكن مشكلة هذا الحزب مع مثل هذه المصطلحات والقضايا التي ترتبط بها من قبيل التحرر، الاستقلال، الوطنية ...، التي كانت تكتسي حساسية كبيرة بسبب الوضعية الاستعمارية الخاصة التي كانت تعرفها الجزائر، هي مضمون المفاهيم والتفسيرات التي كان يقدمها لها، بالإضافة إلى عدم إدراجها بشكل واضح وصريح في مطالبه مثل مطلب الاستقلال أو مطلب التحرر بالعمل المسلح على غرار بعض أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية .

فالثورة عند الشيوعيين في الجزائر لم تكن فعلا مطلقا، وإنما مقيدا تحكمه ضوابط وظروف يجب توفرها حتى يتحقق منها النجاح، فالثورة عندهم هي "ثورة فلاحين" أو "ثورة بروليتاريا" تأتي كنتيجة حتمية لحصول ما يعرف بـ "صراع الطبقات" الذي يفضي في الأخير إلى انتصار البروليتاريا على البورجوازية، وفي الحالة الاستعمارية فان ثورات الشعوب المستعمرة وفق تصور شيوعيي الجزائر كان محكوما عليها بالفشل إذا لم تسبقها ثورة بروليتارية في الميتروبول، بمعنى أن الشيوعيين كانوا يعتقدون بأن تحرير الجزائر وبقية المستعمرات الفرنسية يجب أن يمر عبر الثورة البروليتارية في فرنسا (خيثر ع.، 2007، صفحة 296). مثل هذا التصوّر في اعتقادنا كان من أهم أسباب عدم انخراط هذا الحزب في النضال الحقيقي من أجل القضية الوطنية الجزائرية بعدما حكم على نفسه بالبقاء على هامش هذا النضال. ولو نعود إلى عقد العشرينات فإننا نجد بأن الشيوعيين كانوا يرفضون مسألة "ثورة الأهالي" ويعتبرونها مشروعا سلبيا حذروا من خطورتها، بل واعتبروها كالدواء الأخطر من الداء (Agéron, 2005, pp. 322-324).

أما "الاستقلال" فهي الكلمة التي كان يخشاها كثيرا الشيوعيون ويرفضونها، فقد أعطوها تفسيرا خاصا كذلك الذي جاء في 12 نوفمبر 1950م، عندما وجّه الحزب الشيوعي الجزائري دعوة للأحزاب الوطنية من أجل الاتحاد حول ميثاق "العمل و الوحدة من أجل استقلال الجزائر"، بحيث لم يكن يعني هذا الاستقلال حسبه غير إلغاء الظلم والاستبداد والقضاء على اللامساواة في جمهورية مفتوحة للجميع في إطار الاتحاد الفرنسي (الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962 ، 2007، صفحة 235،236).

إن مثل هذه التفسيرات والتصورات التي كان يحاول الحزب الشيوعي الجزائري أن يشرح من خلالها موقفه إزاء القضية الوطنية، ويقدم من خلالها تحليله للوضعية الاستعمارية، تحمل بقوة على الاعتقاد بأنها لم تكن نابعة من صميم ملاحظات ومعايشة هذا الحزب ومناضليه للواقع الجزائري، بالشكل الذي يمكّنهم من صياغة مفاهيم بسيطة بعيدة عن الغموض واللبس والتعقيد، وفي نفس الوقت تكون قريبة من الواقع الاستعماري، وإنما تدعم بنفس القوة الفكرة التي تذهب الى القول بأنها كانت عبارة عن مفاهيم مقولّبة أو معلّبة سلفا، كان يقوم هذا الحزب بسبب ارتباطه وتبعيته للخارج من خلال منظمات وصية عليه (الكومنتيرن، الحزب الشيوعي الفرنسي) باستهلاكها مباشرة دون إبداء أي اعتراض أو تحفظ عليها، بعدما جعل نفسه رهينة لتلك التصورات والأفكار التي كان يستعيرها قسرا من هذه المنظمات (خيثر ع.، 2007، صفحة 284)، بالشكل الذي جعله يعيش حسب بعض المؤرخين في حالة من الأسر الإيديولوجي (الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962 ، 2007، صفحة 233)، بحيث كان ينتظر ويقبل كل ما يأتيه من الضفة الأخرى.

لم يكن من المنتظر أن يقوم هذا الحزب بعمل كبير أو مهم لصالح القضية الوطنية وضد الاستعمار الفرنسي بالجزائر مادام مفهومه للثورة والاستقلال كان بهذا الشكل الذي لا يفرض عليه من الناحية المبدئية والأخلاقية أي التزام يجبره على ضرورة الاستعداد للثورة والإسراع بتفجيرها، كما لا يفرض عليه تغيير نظرته للاستعمار الفرنسي الذي لا ينبغي معاداته إلا إذا أصبح يشكل خطرا يهدد مصالح فرنسا، ذلك أن نظرته لهذا الاستعمار يمكن القول عنها بأنها كانت مبنية على فكرة إمكانية إصلاحه دون الحاجة إلى القضاء عليه (حماميد، 2001، صفحة 328)، والجدير بالذكر هنا هو أن هذه الأطروحة كانت مستلهمة من فكرتين : الأولى نابعة من قناعة كان يتقاسمها الكثير من الشيوعيين الفرنسيين والأوروبيين مفادها أن وجود الاستعمار يعتبر ضروري بالنسبة للشعوب المستعمرة، ومن ثم فان دعم الاستعمار في نظرهم هو ليس تعارض مع مبادئهم بقدر ما هو ضروري لبلوغ الأهالي مرحلة النضج التي تؤدي حسب اعتقادهم إلى "صراع الطبقات" لأن الاستعمار يعمق الهوة بين الطبقات! (خيثر ع.، 2016، صفحة 304).

أما الفكرة الثانية فإنها كانت تتمثل في تلك النزعة "الوطنية" التي كانت مسيطرة على الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان يرفض عن قناعة تجسيد تعاليم لينينLénine فيما يتعلق بمستقبل الجزائر المستعمرة، ومن ثم كان ضد أي حل يمكن أن يؤدي إلى انفصال الجزائر عن فرنسا "الوطن". وتبعا لهذا لم يكن البرنامج السياسي للحزب الشيوعي الجزائري يهدف في الحقيقة سوى لتحقيق الاندماج كحل جذري لمسألة الاستعمار في الجزائر، والاكتفاء بالتركيز على المطالب الاجتماعية والاقتصادية التي تصور المشكل الجزائري على أنه مسألة لا تتعدى "الخبز والعمل"، إذا استطاعت الإدارة الاستعمارية توفيرهما فإنها ستضمن الأمن والاستقرار في الجزائر (الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962 ، 2007، صفحة 223،225).

وفي محاولة منه لإيهام الجزائريين بصحة تصوراته التي لا تجعله في الحقيقة مضطرا للتحمس أو للدعوة من أجل حل المسألة الاستعمارية، كثيرا ما كان يستعين ببعض المبررات التي كانت تأتيه غالبا من الضفة الأخرى، لعل من أبرزها تخوّف الحزب من سقوط المستعمرات المستقلة تحت تأثير قوى امبريالية أخرى (أمريكا)، حتى ساد في الجزائر منذ منتصف الأربعينات شعار أو مثّل استمر إلى غاية اندلاع الثورة مفاده "لا تبدل حصانك الأعور بحصان أعمى" (حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، 2006، صفحة 118).

ففي سنة 1944م صرح أوزقان بأن مصلحة الجزائر لا تكمن في الانفصال عن فرنسا الجديدة، لأن الاستقلال مستحيل وهو لا يخدم إلا امبرياليات أجنبية أخرى، ونفس الرأي ذهب إليه أيضا زميله في الحزب كابليرو في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة انعقاد مؤتمر الحزب في جوان 1945م عندما قال :"إن الذين يطالبون باستقلال

الجزائر إنما هم بوعي أو بغير وعي عملاء امبريالية أخرى، ونحن لا نريد استبدال حصاننا الأعور بحصان أعمى" (الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962 ، 2007، صفحة 226،248). وغيرها من الأدبيات التي تسوق لفكرة أن استقلال الجزائر هو حل خاطئ أو أطروحة عدمية يجب على الشيوعيين رفضها (Vernant, 2000, p. 29).

لقد ذهب كل من جون بلانشايس وباتريك افينو إلى أن مثل هذه التصورات هي التي جعلت الشيوعيين في بعض الأحيان يصلون إلى حد إعلان مقاومتهم وبشكل صريح لكل ميول وطنية، بحيث كانت ترتكز هذه المقاومة أيضا على فكرة أو معادلة راسخة في أذهانهم مفادها أن الوطنية الجزائرية تؤدي إلى التعصب الإسلامي الذي بدوره يفرز الإقطاعية البربرية (افينو و بلانشايس، 2013، صفحة 85،86). وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه التصورات أيضا هي التي حملت هؤلاء الشيوعيين على الاستهزاء بدعاة الثورة والاستقلال من التيار الاستقلالي، من خلال تشبيههم "بديوك الليل التي تبشر بالصباح في عز الليل قبل الأوان" (خيثر ع.، 2007، صفحة 288) .

لقد ترتب عن عدم تقديم الشيوعيين لمفهوم الثورة بشكل واضح ودقيق وغير متلائم مع خصوصية المشكل الجزائري، فضلا عن عدم إدراجهم لمطلب الاستقلال في برنامج عملهم واكتفائهم بالتصورات والتفاسير المستوردة من الضفة الأخرى، أن جعل هذا الحزب-كما سبقت الإشارة إليه- أسير توجهات كانت تملى عليه من الخارج أكثر منها توجهات نابعة من صميم نضاله داخل الجزائر ومع الجزائريين المسلمين، كانت سببا ليس فقط في عدم تطوره وعجزه عن تحليل الوضعية الاستعمارية من منظور مشترك مع تيارات الحركة الوطنية الأخرى (خيثر ع.، 2007، صفحة 296)، وإنما طرح حتى مسألة أهلية عده من ضمن أحزاب هذه الحركة بعدما رأى الكثير من المؤرخين والباحثين لاسيما الجزائريين منهم بأنه كان غريبا وبعيدا عن الجزائر في نضاله. وحسب محمد حربي فان هذا الأمر أيضا جعل الحزب الشيوعي الجزائري حزبا للوسط، وفي بعض اللحظات التاريخية الحاسمة التي مرت بها القضية الوطنية وجد نفسه جنبا إلى جنب مع القوى المؤيدة للبورجوازية (حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، 2006، صفحة 14)، فالوطنيون الجزائريون لم ينسوا بأن الجبهة الشعبية التي شارك فيها الشيوعيون هي التي حلت نجم شمال إفريقيا، وبأن موريس توريز Mauric Thorez هو الذي نفى وجود أمة جزائرية وطنية، كما لم ينسوا موقفهم المخزي من مجازر 08 ماي 1945م (بن حمودة، 2012، صفحة 197)، وبالإضافة إلى كل هذا يحفظ التاريخ لهذا الحزب معارضته الصريحة للاستقلال عندما أعلن في سبتمبر 1947م ما يلي :"يعارض الحزب الشيوعي الجزائري فكرة استقلال الجزائر، وهي الفكرة التي يطرحها حزب الشعب الجزائري..." (العسلي و الزبيري، 1982، صفحة 6،7).

إن ما فات شيوعيي الجزائر خاصة الأوروبيين منهم هو أنهم لم يكونوا مدركين بأن وضعيتهم كمستعمرين تتناقض أو على الأقل لم تكن تتلاءم مع مبادئ الفكر الشيوعي وأطروحات لينيين التي كانوا ينادون بها. ومن جهة أخرى لم يستطع هؤلاء الشيوعيين أن يفهموا نظرة أغلب الأهالي الجزائريين إليهم، التي كانت تضعهم في نفس درجة المعمرين والإقطاعيين، خاصة عندما كانوا يعلنون صراحة عن مقاومتهم للميول الوطنية (افينو و بلانشايس، 2013، صفحة 85)، الأمر الذي ترك هذا الحزب يعيش في حالة من البعد والعزلة عن الجماهير الأهلية التي يبدو بأنها لم تكن تشعر بوجود ما يجمعها به، بالشكل الذي يحملها على الاعتقاد بقدرته أو صدقه في تبني انشغالاتها والتعبير عن آمالها وآلامها.

على الرغم من التحول الذي بدأ يعرفه هذا الحزب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية اثر تبنيه لسياسة "الجزأرة" التي جعلت منه حزبا مزدوجا بعدما كان حزبا أوروبيا، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لحصول تطور أو تغير في تعاطي الحزب مع فكرة الثورة في الجزائر واستقلالها، حيث يبدو جليا بأنه إلى غاية أول نوفمبر 1954م لم تكن مثل هذه الأفكار تتجاوز حدود الأدبيات والخطابات التي كانت غالبا مناسباتية، مع التأكيد على المفهوم أو التفسير الخاص الذي كان يحرص الحزب على إعطائه لها، الأمر الذي جعل من إمكانية حدوث ثورة في الجزائر يكون من ورائها الشيوعيون أمرا مستبعدا قريب من المستحيل، وهو الأمر نفسه الذي يفسر ربما غياب أي نشاط أو عمل جدي من هذا الحزب يمكن أن يدخل في إطار التحضير للمشروع الثوري، من خلال الاسهام في إعداد الأرضية السياسية، اللوجستيكية، التنظيمية ... للعمل المسلح في الجزائر . لكن وعلى الرغم من كل هذا، ألم يمثل اندلاع الثورة فرصة كان بإمكان هذا الحزب أن يستدرك من خلالها ما فاته من تقصير إزاء هذا المشروع، ويصحح مفاهيمه الثورية ويكفّر عن خطاياه في حق القضية الوطنية بالانخراط فيها، ودعم ثورتها منذ الوهلة الأولى لاندلاعها. ما يجعله يبدو حزبا تائبا عاد إلى رشده بعدما تصالح مع ذاته والمبادئ التي كان يؤمن بها.

3- موقف الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة سنة 1954م :

كان الحزب الشيوعي الجزائري من التنظيمات والأحزاب الأولى التي عبّرت عن موقفها من اندلاع الثورة (حماميد، 2001، صفحة 336)، بحيث أصدر بيانا في 02 نوفمبر 1954م تفهّم فيه الأحداث التي وقعت ليلة أول نوفمبر 1954م التي لم يعتبرها مفاجئة، بل متوقّعة بالنظر للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، هذه الأخيرة التي حملّها مسؤولية تلك الأحداث، لأنها كانت تقوم على الاضطهاد والقمع وإنكار المشكل الجزائري . كما دعا من خلال صحفه فيما بعد "Alger républicain"، "Liberté" إلى ضرورة البحث عن حل ديمقراطي للقضية الجزائرية (بن زروال، 2002-2003، صفحة 76).

لكن في صبيحة يوم 02 نوفمبر وقبل إصدار هذا البيان يذكر جاك جوركي بأنه تم عقد اجتماع لإطارات الحزب في الجزائر العاصمة غاب عنه معظم الإطارات الجزائرية، في حين حضره الأوروبيون على رأسهم Paul Coballiero بول كابليرو و André Moine آندري موان، قدم فيه هذا الأخير تحليلا للوضع أكد خلاله على احتمال أن تكون الحوادث مجرد استفزازات تسعى الإدارة الاستعمارية من ورائها إلى شن حملة قمع جديدة شبيهة بتلك التي ارتكبتها سنة 1945م، لذلك أوصى في الأخير بتوخي أقصى ما يمكن من الحذر. وتجدر الإشارة إلى أن فكرة "الاستفزازات" قد تكررت في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في 04 نوفمبر التي رفضها المناضلون الجزائريون مثل قروف والعمراني ...، ويذكر جاك جوركي في تقييمه لهذا الموقف بالقول :"... إن أول رد فعل للمسيريين الفرنسيين للحزب الشيوعي الجزائري كان سيئا مثل موقفهم من مجازر 08 ماي 1945م" (حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، 2006، صفحة 42). وفي هذا السياق يبدو بأن سيطرة فكرة المؤامرة الاستعمارية على الشيوعيين في شكل استفزازات تتخذ منها سلطات الاحتلال ذريعة للقمع، هي التي جعلت بعض المؤرخين يرون في موقفهم من اندلاع الثورة بأنه كان موقفا حذرا (بن حمودة، 2012، صفحة 173).

و بغض النظر عما شاب موقف هذا الحزب من الثورة المعبّر عنه في بيان 02 نوفمبر من حذر أو عدم وضوح، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو اختلاف تعاطي الحزب الشيوعي الجزائري مع الحزب الشيوعي الفرنسي الذي أدان الهجومات التي اعتبرها أعمالا واعتداءات فردية (Manceron, 2018, p. 21) في بيانه الصادر في 08 نوفمبر 1954م، و الذي سوّق فيه أيضا لفرضية المؤامرة . غير أن هذا الاختلاف لم يكن يعني موقفا مستقلا من الحزب الشيوعي الجزائري عن الحزب الشيوعي الفرنسي بقدر ما يعني حسب محمد حربي اختلاف في تفسير ما حدث، راجع إلى حجم الصدمة التي مثلتها تلك الأحداث، كما أن هذا الاختلاف سرعان ما تم رأبه في 14 نوفمبر 1954م، و13 جانفي 1955م عندما تبنى الحزب الشيوعي الجزائري الانتقادات التي وجهها الحزب الشيوعي الفرنسي لأنصار العمل المسلح في الجزائر (حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع ، 1983، صفحة 122)، الأمر الذي يؤكد ذلك الارتباط الكبير والتبعية المباشرة لهذا الحزب بالضفة الأخرى، ومن جهة أخرى تشابه أو تطابق المنطلقات الفكرية بينهما (بن حمودة، 2012، صفحة 192).

ففي 14 نوفمبر 1954م عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري دورة طارئة خرجت بتصريح جاء فيه: "... إن العمل الفردي يمكن أن يلحق أضرارا بقضية الشعب إذا كان يؤدي إلى تباطؤ عمل الجماهير، ويضعف معنوياتها ويسهل القمع بجميع أنواعه ...". أما بيان 13 جانفي 1955م فقد جاء فيه :"...لقد امتنع الحزب دائما عن استعمال الشعارات التي في غير محلها، والأعمال الفردية التي لا تتلاءم مع إرادة الجماهير

الواسعة وإمكانياتها الحقيقية، والتي قد تكون عنصر انشقاق في أوساط العمال الجزائريين، أو قد تكون في خدمة المصالح الاستعمارية" (الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، 1984، الصفحات 171-173). و ما عبّر بوضوح عن الموقف الحقيقي لهذا الحزب على ما يبدو هو ما جاء في جريدة "العامل الجزائري" لسان حال نقابة "الاتحاد العام للنقابات الجزائرية" "UGSA" التابعة لهذا الحزب في 23 نوفمبر 1954م التي رأت بأن الشعب الجزائري في حاجة للعمل والخبز، لا إلى القنابل والرشاشات (بن حمودة، 2012، صفحة 173).

وبخصوص بيان 02 نوفمبر تجدر الإشارة إلى أن هناك اختلاف و تباين في آراء الباحثين والمؤرخين حوله بين من يراه موقفا واضحا وكافيا، مثل سعيد بونعامة الذي قال :"لا نجد في هذا التصريح أي إدانة لهجومات أول نوفمبر أو للعمل العسكري في الكفاح ..."، كما رأى بأن موقف الحزب الشيوعي الجزائري من الثورة كان هو "... الأكثر وضوحا والأصوب، عكس ما روّجت له العديد من التصريحات المعادية للشيوعية في الجزائر". ويضيف بونعامة بأن الانتقادات والاتهامات التي وجّهت ضد الموقف المبدئي للحزب الشيوعي الجزائري من الثورة راجع إلى الخلط بشكل متعمد أو غير متعمد بين نص تصريح هذا الحزب في 02 نوفمبر، والتصريح الشهير للحزب الشيوعي الفرنسي في 08 نوفمبر الأكثر غموضا والأكثر بعدا (Ruscio, 2018, p. 45). و نفس الرأي يذهب إليه جيل مانصرون Gilles Manceron الذي يرى فيه بأنه تصريح أدان الاستعمار ودعم الآمال الوطنية للجزائريين من أجل الاستقلال (Manceron, 2018, p. 21)، و قريبا من هذا الرأي تذهب جمعة بن زروال بعد عرضها للآراء المتباينة حول موقف الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة بالقول بأن موقف هذا الحزب كان سياسيا بحيث شجّع هجومات أول نوفمبر، لكنه لم ينضم إليها (بن زروال، 2002-2003، صفحة 76).

على النقيض تقريبا من هذه الآراء و القراءات لبيان 02 نوفمبر يرى محمد حربي بأنه لم يرد فيه أي ذكر لمطلب الاستقلال، كما لم يرد فيه موقفا واضحا ضده. لكنه في المقابل تضمن معاني تحمل إدانة للحركة الجديدة التي قام بتصويرها على أنها غير مسؤولة وعمل أقلية، على الرغم من أنه حمّل مسؤولية ما حدث للسياسة الاستعمارية التي اتهمها بالاستغلال والعنصرية وخنق الحريات (حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع ، 1983، صفحة 122) . أما محمد العربي الزبيري فيرى بأن جزء من مضمون البيان الذي يتحدث عن " الحل الديمقراطي الذي يحترم كل السكان الجزائريين... و يأخذ بعين الاعتبار مصالح فرنسا"، يكشف بأن هذا الحزب قد تجاوزته الأحداث و بأنه لم يعد قادرا على فهم نضال الشعوب من أجل الحرية (الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، 1984، صفحة 167،168) .

لا يستقيم في اعتقادي الفهم أو الرأي حول موقف الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة بالاعتماد أو الاستناد فقط على تصريح واحد لهذا الحزب ثم نقيّم على ضوئه هذا الموقف،لأن هذا المسلك يجعل نظرتنا للموضوع أشبه لمن ينظر للأشياء من زاوية واحدة –النظرة البروكروستية– لا يمكنها أن تقدم صورة واضحة وكاملة عن الحقيقة. هذه الأخيرة التي تفرض في أبسط مقتضياتها الموضوعية –في مثل هذه الحالة– الأخذ بكل التصريحات والبيانات التي أصدرها هذا الحزب أو مسؤوليه، لاسيما وأنها قد جاءت متتالية في فترة زمنية متقاربة جدا، وقراءة مضامينها جيدا ومقارنتها مع بعضها البعض بالشكل الذي يسمح بملاحظة وتتبع مدى تطور أو تراجع موقف هذا الحزب من اندلاع الثورة . وعلى الرغم من الأهمية التاريخية الكبيرة لهذه البيانات و التصريحات باعتبارها كانت الأداة الرسمية لإعلان موقف الحزب من اندلاع الثورة و تبليغه للرأي العام، إلا أنها تبقى غير كافية للإحاطة بجميع تفاصيل هذا الموضوع التي تقتضي البحث في مسائل أخرى غير هذه البيانات والتصريحات التي كان يدلي بها الحزب، مثل مختلف الأعمال والأنشطة السياسية، الإعلامية والمادية ... التي كان يقوم بها مناضلو وإطارات هذا الحزب والمنظمات التابعة له، وعلاقات البعض منهم مع الثورة و الثوار ...–لاسيما تلك التي كان الحزب على علم بها– و غيرها من المسائل التي لا يتيح مجال هذه الدراسة للخوض فيها .

بالإطلاع على ما صرح به الحزب رسميا حول هجومات أول نوفمبر واندلاع الثورة بشكل عام، يمكن من دون عناء ملاحظة ما يمكن أن يطلق عليه تقهقر أو تراجع موقف هذا الحزب من اندلاع الثورة انطلاقا من التصريحات والبيانات التي أصدرها، بداية أو انطلاقا من أول بيان في 02 نوفمبر 1954م الذي يمكن القول عنه بغض النظر عن القراءة المتحفظة لبعض المؤرخين عليه بأنه كان ايجابيا مقارنة بما تلاه، لكن باستثناء هذا البيان الأول تظهر الإدانة الضمنية والتشويه الواضح لهجومات أول نوفمبر في باقي التصريحات، بالشكل الذي يمكن القول معها بأنها نفت أي قيمة تاريخية يمكن أن يلحظها القارئ في الموقف المعبّر عنه في البيان الأول للحزب. أين حذر من هجومات أول نوفمبر التي اعتبرها أعمالا فردية، وحذر الجزائريين من مغبة الانسياق ورائها، فضلا عن نفيه البعد الوطني والثوري لهذه الهجومات التي رأى بأن الشعب الجزائري ليس في حاجة إليها، و بأنها تفوق امكانياته ... .

كما يكشف الاطلاع على هذه التصريحات مرة أخرى تذبذب وتناقض موقف الشيوعيين الجزائريين من القضايا الوطنية المصيرية، ومن جهة أخرى يؤكد شدّة ارتباط وتأثر هؤلاء الشيوعيين بالحزب الشيوعي الفرنسي وعجزهم عن الاستقلال الفعلي عنه، بعدما تخلّوا وبشكل سريع عن موقفهم الأول، وتبنيهم تصريح هذا الحزب الصادر في 08 نوفمبر الذي شوه معنى ومغزى الكفاح التحرري بعدما انتزع كل محتوى ثوري للانتفاضة التي

فجرت يوم أول نوفمبر 1954م (هارون، 2012، صفحة 382). كل هذه المعطيات والشواهد التاريخية جعلت الحزب الشيوعي الجزائري يبدو كمن سارع إلى تصحيح خطأ وقع فيه، لكنه تصحيح أشبه بمن يعود إلى الشر بعدما رأى بأنه قد أخطأ بفعل الخير! لهذا لا يعد في الظاهر من الإجحاف أو الظلم في حق هذا الحزب القول بأن موقفه من الثورة كان سلبيا، ذلك أن تردده وتغيير مواقفه لم يترك على ما يبدو المبررات الموضوعية لمن يريد أن ينصفه (حماميد، 2001، صفحة 341).

4- خلفيات موقف الحزب من الثورة : لعل مما يُجمّع حوله المؤرخون بخصوص بعض السمات التي طبعت المسار النضالي للحزب الشيوعي الجزائري إزاء القضية الوطنية هي التردد وعدم الثبات في مواقفه، بالإضافة إلى اللُبس والغموض في خطاباته وتصريحاته بسبب استخدامه لمصطلحات وألفاظ تقبل التأويل والتوظيف السياسي حسب الظروف أو الوضعية التي يكون فيها الحزب، بالإضافة إلى المفهوم والتفسير الخاص بهذا الحزب الذي كان يمنحه لتلك المصطلحات والألفاظ، والذي عادة يكون في المبنى والمعنى الذي يخدم أهدافه ومصالحه (الشيخ، 2002، صفحة 284).

وفاء لهذا النهج لازم التردد وعدم الثبات موقف هذا الحزب مرة أخرى عند اندلاع الثورة، ولكن ما يمكن أن يخفف عنه في الظاهر وطأة هذا الأمر هو أن اندلاع الثورة قد شكل مفاجأة كبيرة للجميع، بما فيه هذا الحزب الذي حاول أن يبدو غير متفاجئ، لذلك من الطبيعي أن يكون من تداعياتها عليه أو على غيره من الأحزاب والتنظيمات الأخرى حدوث نوع من الارتباك أو التشويش الذي قد يؤثر على القرارات والأفكار والمواقف. لاسيما وأن وقع هذه الثورة المفاجئ قد نزل كالصدمة على بعض المنظمات والدوائر والشخصيات ...، الأمر الذي على ما يبدو قد جعل في هذه المرة ذلك التردد ربما علامة على الارتدادات أو الهزات التي أصابت هذا الحزب، الذي كان لا يزال يعتقد جازما الى غاية هذا التاريخ باستحالة قيام أو على الأقل امكانية نجاح ثورة في الجزائر ما لم تسبقها ثورة في فرنسا.

ويمكن أن يُعزّى تردد وعدم ثبات الحزب في موقفه من اندلاع الثورة إلى ثلاث أسباب رئيسية، أولها -كما أسلفنا- اندلاع الثورة في حد ذاتها التي جعلت الحزب الشيوعي الجزائري يجد نفسه في وضعية صعبة من جديد، وهو كان لا يزال يعاني من تبعات مواقفه السلبية من القضية الوطنية لاسيما موقفه من مجازر 08 ماي 1945م (Horne, 2007, pp. 141,142)، فحجم الصدمة التي مثلتها أحداث الثورة التي لم يبادر أو يشارك هو بتفجيرها كان كبيرا عليه، خاصة وأنه وجد نفسه مدعوا من غيره للانضمام إليها مع حل نفسه، مما جعله يعيش حالة من التشويش والغموض والارتباك (Ruscio, 2018, p. 44). كيف لا وهو الذي كان يرى بأنه حزب

"الطليعة" –الذي من المفروض يقود الجماهير– فجأة وجد نفسه خلف الجماهير ! (حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، 2006، صفحة 42).

من جهة أخرى تبعية هذا الحزب شبه المطلقة للحزب الشيوعي الفرنسي إيديولوجيا وهيكليا حرمته من الاستقلال برأيه أو موقفه إزاء ما كان يحدث في الجزائر، وجعلت منه مجرد صدى لما يصدر أو يُعلَن من فرنسا، فهذه العلاقة جعلت هذا الحزب أسيرا و مشلولا في نفس الوقت، بعدما وجد نفسه مقيدا و ملزما بإتباع التوجيهات والاملاءات التي كانت تأتيه من باريس (Manceron, 2018, p. 48)، هذه الأخيرة التي يبدو بأنها نجحت في جعله مع مرور الوقت يرى بأن الخروج عليها وعصيان أوامرها أو مخالفة مواقفها يتنافى مع الالتزام النضالي والانضباط الحزبي المثالي. ومعروف تاريخيا بأن الحزب الشيوعي الفرنسي لم يؤمن يوما بحق الشعب الجزائري في الاستقلال والحرية (Vernant, 2000, p. 31)، لذلك لم يكن منتظرا من فرعه في الجزائر أن يخرج عن هذا الخط ويتبنى موقفا مستقلا أو مختلفا عنه، وإن جاز القول بأن الحزب في الجزائر قد أصدر بيانا (02نوفمبر) قدم فيه تفسيرا مختلفا عن تفسير أخاه الأكبر حول هجومات أول نوفمبر 1954م، فانه سرعان ما تراجع عنه وتبنى ما صدر من باريس.

إن هذا الموقف من الحزب الشيوعي الفرنسي كان نابعا أيضا في بعض جوانبه من إيديولوجيته التي لا تؤمن بإمكانية نجاح أي ثورة في الجزائر إذا لم تسبقها ثورة في الميتروبول (الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، 1984، صفحة 165)، بالإضافة إلى أسباب أخرى لعل من بينها سيطرة "النزعة الوطنية" التي يسميها سليمان الشيخ بمسألة "الوطن الرسمي"–المتعارضة مع مبدأ الأممية– عند هذا الحزب، والتي جعلته يحرص على إبراز وطنيته والبرهّنة عليها في العديد من المناسبات أثناء الثورة وما قبلها لإثبات وفائه وارتباطه بقضية وطنه، وفي هذا تأكيد على صفته الوطنية التي تنفي عنه أمام الحكومة أو الشعب الفرنسي تهمة الحزب "الأجنبي" فضلا عن اتهامه بالخيانة، أو كل ما من شأنه إثارة الرأي العام الذي كان هذا الحزب حريصا جدا على إرضائه دون الالتفات لمبادئه الشيوعية والأممية (الشيخ، 2002، صفحة 283،287).

أما السبب الثالث فيتمثل في أن الحزب الشيوعي الجزائري كان يعيش شبه حالة من الانقسام الداخلي، أو تحت ضغط المواقف المتضاربة بين أعضائه وفقا لأصولهم، أي بين الإطارات والمناضلين الجزائريين الذين كانوا مناصرين للعمل المسلح مثل العربي بوهالي، حاج علي بشير، بوعلام خالفة، العيد العمراني وأحمد عكاش...، والأوروبين المعادين أو المعارضين مثلAndré Moine آندري موان و زوجته Blonche بلانش ...، الذين لم يكونوا يؤمنون بالثورة ومستقبلها (حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع ، 1983، صفحة 122)، مما

أدى إلى غياب التوافق والانسجام في الآراء بين إطارات ومناضلي هذا الحزب، الأمر الذي ربما انعكس سلبا على موقفه الرسمي من اندلاع الثورة. وبالنظر إلى الموقف الذي اتخذه الحزب يبدو بأن الأغلبية داخله كانت لأنصار الرأي الثاني (الأوروبيين) في بداية اندلاع الثورة، أو على الأقل كانوا لا يزالون مسيطرين على الحزب، قبل أن يطرأ بعض التغير بشكل تدريجي لصالح أنصار العمل المسلح فيما بعد.

يمكن القول بأن هذه الأسباب الآنفة الذكر قد شكلت السياق الذي حدد وصاغ بشكل كبير رد فعل وموقف هذا الحزب من اندلاع الثورة إلى الحد الذي جعله غير قادر على الثبات في موقف ورأي واحد، ناهيك عن قدرته على إعلان تأييده الصريح للثورة. ومن دون أن ندّعي الفصل في هذه المسألة يبدو في اعتقادنا بأن محاولة البحث عن أسباب ومبررات موضوعية أخرى لتبرير موقف هذا الحزب السلبي من اندلاع الثورة كمن يحاول الإتيان بالماء من السراب، بحيث لا يجني من ذهابه إلا الإياب، وهو المسار الذي سلكه عمار أوزقان عندما حاول بشكل مبطن تبرير موقف حزبه بالقول بأنه لا يعيب على جبهة التحرير اختيار السلاح كأسلوب للكفاح، ولكن اتهمها في المقابل بغرابة التفكير، وتناقضها مع نفسها، وهذا حسبه راجع لعدة اعتبارات أبرزها سوء اختيار وقت تفجير الثورة الذي رآه غير مناسب (Ruscio, 2018, p. 44). كما عدد بعض الأسباب الأخرى التي كانت في الحقيقة صعوبات كبيرة واجهت الثورة عند اندلاعها كغياب الدعم الشعبي في البداية وغياب التنظيم الجيد ...، ليصل في الأخير إلى استنتاج ساخر من المفجرين عندما قال بأن العمل الذي أقدموا عليه كان شبيه بذلك الذي يضع المحراث قبل الثور (أوزقان، 2005، الصفحات 102–105)، ومن ثم فان الحزب الشيوعي–حزب الطليعة– لا يمكنه أن يمشي وراء مثل هذا العمل غير المنظم والمستعجل.

ما يلاحظ على نظرة أوزقان حول كيفية وظروف اندلاع الثورة هي أنها لم تكن نظرة خاصة به فقط، وإنما يبدو من خلال الموقف العام للحزب الشيوعي الجزائري بأنها كانت شبه قناعة مشتركة كان يتقاسمها معه أغلب مناضلي ومسؤولي هذا الحزب، لكن فيما بعد نجد أوزقان نفسه ينسف كلامه السابق القادح في الجبهة والساخر من المفجرين عندما يذكر في نفس الكتاب (الجهاد الأفضل) بأن "نجاح القائمين بالثورة الجزائرية لم يكن فعل قرار اعتباطي ممهور بجملة على باب الله ...، إن أكبر استحقاق تاريخي للجنة الثورية للوحدة والعمل هو تمكّنها من توفير الظروف المهمة لخلق جبهة التحرير الوطني القوة الثورية الصحيحة الوحيدة والفعالة" (أوزقان، 2005، صفحة 114،115). الأمر الذي يعكس تحول وتطور موقف هذا الأخير من الثورة، لكن في المقابل يعطينا أيضا فكرة ومثال على تذبذب وتناقض مواقف الشيوعيين من القضايا الوطنية.

ما يمكن أن نخلص إليه بخصوص موقف الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة هو أن هذا الحزب قد وجد نفسه أمام وضعية صعبة سنة 1954م، حالت بينه وبين استغلال الفرصة التي أتيحت له من أجل تصحيح أخطاء ماضيه النضالي، وتحقيق المصالحة الذاتية مع نفسه ومع المبادئ التي كان يدعي الإيمان بها. وبالعودة إلى الماضي النضالي لهذا الحزب والظروف التي كان يعيش فيها عشية اندلاع الثورة يبدو جليا بأنه لم يكن يمتلك الشروط الموضوعية التي ترشحه لمواكبة التطور أو الانجاز التاريخي الذي تحقق في نوفمبر 1954م، ناهيك عن صناعته أو المشاركة فيه، لكن في مقابل هذا لا يمكن إنكار أيضا أنه كان هناك بعض المناضلين في هذا الحزب لاسيما من ذوي الأصول الجزائرية من كان متحمسا للثورة والعمل المسلح بغض النظر عن تصورهم لمفهوم هذه الثورة وأهدافها، وبسبب هؤلاء المناضلين والتطورات التي عرفتها الثورة في سنتيها الأولتين اقتحم الحزب الشيوعي الجزائري ميدان العمل المسلح، عندما أسس تنظيم عسكري حمل اسم "المقاتلين من أجل الحرية" « Les Combattants de la Libération » شارك به في الثورة باسمه الخاص، قبل أن يقوم بحله ودمجه في صفوف وحدات جيش التحرير.

5- خاتمة :

بعد تتبع هذا الموضوع بالبحث والدراسة، ومحاولة قراءته قراءة تاريخية خلصنا إلى بعض الاستنتاجات والنتائج، لكن قبل الإشارة إليها نود أن نوضح فكرة أساسية متعلقة بموقف الحزب الشيوعي من اندلاع الثورة الذي يجمع أغلب المؤرخين على اعتباره كان موقفا سلبيا، ذلك أن سلبية موقف الحزب من الثورة هي ليست في عدم الإعلان بشكل صريح عن تأييده لها والانضمام إليها منذ الوهلة الأولى لانطلاقتها فقط، ذلك أن هذا الأمر كان موقفا مشتركا تقريبا لجميع أحزاب الحركة الوطنية، فضلا عن المبررات الموضوعية التي يمكن أن نتلمّسها له ولغيره من الأحزاب حول هذه المسألة، وإنما السلبية كانت تكمّن أكثر في بعض تصريحاته التي كانت تحمل معاني الإدانة للحركة الجديدة وتعمل على تحذير الجزائريين من إتباعها، وتثبط من عزيمتهم وتزرع الشك فيهم وفي ثورتهم ...، وغيره مما يمكن أن يُعد دعاية مضلّلة أو معادية للثورة وقادتها، فضلا عن بعض المناورات السياسية التي كان يقوم بها من حين لآخر، ورفضه الصريح الاعتراف بقيادة جبهة التحرير للثورة والامتثال لأوامرها.

- على الرغم من الاضطهاد والقمع وحتى الجرائم التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حق الجزائريين، إلا أنها لم تستطع تحريك المشاعر الوطنية لهذا الحزب الشيوعي الجزائري الذي ظل محافظا ووفيا لأفكاره وقناعاته النضالية القديمة، على الرغم أيضا من اندلاع الثورة التي أتاحت له هي الأخرى فرصة وإمكانية تعديل بعض التصورات والمفاهيم، وتصحيح الكثير من الأخطاء، وتغيير نهج و أسلوب الكفاح.

– إن الموقف السلبي للحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة يبدو بأنه قد جاء كنتيجة حتمية منسجمة مع سلبية تجربته التاريخية في النضال ومواقفه من القضية الوطنية قبل 1954م، لذلك يمكن القول بأن الماضي النضالي للحزب كان أقوى تأثيرا وأكثر تحكما من اللحظة التاريخية والزخم الذي ولّده اندلاع الثورة في تحديد ذلك الموقف .

– اجتمعت العديد من العوامل (الإيديولوجية، العرقية، السياسية ...) التي تحكمت وأثرت في تحديد شكل وطبيعة موقف الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة، هذا الموقف الذي يبدو بأنه يحمل عدة تأويلات، وأيضا عدة دلالات واضحة، لعل من بينها هو أن الحزب قد عبّر من خلاله بأنه كان لا يزال غير قادر على فهم ما يقتضيه الكفاح والنضال من أجل الشعوب المحتلة الراغبة في التحرر، الأمر الذي جعله يبدو بعيدا عن الواقع الجزائري، عاجزا عن مواكبة التطور الذي بلغته القضية الوطنية التي وصلت لمرحلة النضج في أول نوفمبر 1954م.

– كونه كان من أولى التنظيمات السياسية في الجزائر التي عبّرت عن موقفها من هجومات أول نوفمبر 1954م، لم يكن ذلك يعني أبدا استجابة هذا الحزب للثورة وتلبيته لندائها، خاصة وأنه لم يستطع كغيره من أحزاب الحركة الوطنية أن يعلن آنذاك بشكل واضح وصريح عن دعمه وتأييده لخيار العمل المسلح الذي أعلنت عنه جبهة التحرير، ما ينفي عن موقف هذا الحزب أي أهمية أو تميّز عن موقف باقي تشكيلات الحركة الوطنية.

– لم يستطع موقف الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة أن يخفف من عبء المسار النضالي المتعثر لهذا الحزب الذي كان في الأصل مثقلا بالسقطات والأخطاء، وإنما زاد ذلك الموقف من تأكيد انحراف أو على الأقل ابتعاد هذا الحزب عن المسلك الصحيح الذي كان يقتضيه النضال في الجزائر. ومن جهة أخرى أيضا أكد هذا الموقف بُعد هذا الحزب عن حقيقة النضال الوطني وجوهر القضية الوطنية التي كان يتطلع إليها الشعب الجزائري والتي تتجاوز بكثير مسألتي "الخبز" و"العمل".

– من أبرز تداعيات اندلاع الثورة على الحزب الشيوعي الجزائري هي ظهور بوادر الانقسام الداخلي في صفوف مناضليه، بين مؤيد لفكرة العمل المسلح والداعي للمشاركة فيه من المناضلين الجزائريين، وبين معارض لها من الأوروبيين. وتحت هذا الضغط الذي كان يهدد الحزب بانفجار داخلي، يمكن تفسير كل القرارات والأنشطة والأعمال التي يمكن أن تعتبر ايجابية قام بها هذا الحزب ومناضليه لصالح الثورة إلى غاية صيف 1956م تاريخ سماح الحزب لمناضليه بالانضمام في صفوف الثورة، ودمج فصيله العسكري في وحدات جيش التحرير.

قائمة المراجع:

أولا/ باللغة العربية:

– باتريك، افينو، وجون، بلانشايس، (2013)، حرب الجزائر ملف وشهادات (المجلد 01)، (بن داود سلامنية، المترجمون)، دار الوعي، الجزائر.

– بسام، العسلي، ومحمد العربي، الزبيري، (1982)، الحزب الشيوعي الجزائري تاريخ ... وخيانات، منشورات الطليعة، بيروت.

– بوعلام، بن حمودة، (2012)، الثورة الجزائرية، دار النعمان للنشر والتوزيع الجزائر.

– سليمان، الشيخ، (2002)، الجزائر تحمل السلاح دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة . (محمد حافظ الجمالي، المترجمون)، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر.

– علي، هارون، (2012)، الولاية السابعة، (الصادق عماري، ومصطفى ماضي، المترجمون)، دار القصبة للنشر، الجزائر.

– عبد النور، خيثر، (2007)، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1945 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 ، الجزائر.

– عمار، أوزقان، (2005)، الجهاد الأفضل، (ميشال سطوف، وآخرون، المترجمون)، دار القصبة، الجزائر.

– محمد العربي، الزبيري، (1984)، *الثورة الجزائرية في عامها الأول* (المجلد 01)، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر.

– محمد العربي، الزبيري، (2007)، تاريخ الجزائر المعاصر 1954–1962 ، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر.

– محمد، حربي، (1983)، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع ، (كميل قصير داغر، المترجمون) مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

– محمد، حربي، (2006)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، (نجيب عياد، وصالح المثلوثي، المترجمون)، موفم، الجزائر.

– جمعة، بن زروال، (2002–2003)، الحركة الوطنية الجزائرية المصالية وموقفها من الثورة 1954–1962 (رسالة ماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية)، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

– حماميد حسينة ، (2001)، المسألة الوطنية هي الحد الفاصل بين جبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري، مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، 11(02)، الصفحات 325–358.

– خيثر عزيز، (جانفي 2016)، "ظهور التنظيم الشيوعي بالجزائر وموقفه من فكرة الوطنية 1920–1936"، المجلة التاريخية المغاربية، 34(162)، الصفحات 279–307.

ثانيا/ باللغة الأجنبية:

- Charles-Robert, Agéron, (2005), de l'Algérie Francaise al'Algérie Algérienne , éditions Bouchene, Paris.

- Alistair, Horne, (2007), Histoire de la guerre d'Algérie, éditions Dahlab, Alger.

- Mohamed, Teguia, (2007), l'Algérie en guerre , opu, Alger.

- Manceron Gilles, (2018, Décembre 16). Entretien avec Gilles Manceron, (M. Lallaoui, Intervieweur) Malakoff.

- Ruscio Alain. (2018), Le parti communiste algérien, de l'après libération à la vielle de la guerre d'indépendance 1946-1954, Cahiers d'histoire,(140), pp. 32-48.

- Vernant Jeans-Pierre, (2000, automne), Le PCF et la question algérienne1959 , Revue VACARN, (13), pp. 22-31.